ومنها : انفق بعض المناوين شيئاً من التكلف كورود « محفظات العقول » ويراد بها « الآثار الادبية » او « المطبوعات الحديثة » . نعم ان التآليف هي بمنزلة المحفظات ، لبقائها على حالها بقاء المحفظات وان تراخت عليها استار الاعصار ، لكن ما ضر الرصيف لو قال مثلاً « مخلدات الكتاب » او « مآثر العقول » او « الآثار الادبية » او نحو ذلك ، وبالاخص لان البلى قد يدب الى المحفظات ولو بعد حين ، لكنه لا يدب الى المخلدات او المآثر الادبية او العقلية .

ومنها : انه سمى « باب الاخبار السياسية » متحف الاخبار . وليس لهذه اللفظة وجه لغوي فصيح صحيح . اللهم الا ان يقال فيها « متحفة » او دار تحف او خزانة تحف ، او ما اشبه ذلك (راجع المشرق ١٠ : ٣٤٣ - ٣٤٤) .

ولم لا نحو صديقنا سهولة اللفظ وسلاسته مع الفصاحة والبلاغة وهو من مشاهير كتاب هذا العصر ومقدميه . وعليه : فما ضره لو قال « باب الاخبار السياسية » ؟ على ان هذا كله لا يحط شيئاً من منزلة المجلة . ولا من مقام منشئها الرفيع . حفظه الله . ونجح مسعاه . خدمة للغة والعلم ولكل من ينتمي اليهما .

تاريخ وقائع العراق وما جاوره

(سعدون باشا والمنتفق) لاحديث اليوم في العراق الا ما يدور حوله على سعدون باشا والمنتفق والقبض على سعدون وارساله الى بغداد وسجنه

في قلعة الدفعية ثم اعادوه الى حلب الشهباء . اما سبب هذا الانقلاب فطويل الشؤون، كثير الشجون، نورد بمضامنه ملخصه عن عدة اعداد صحف بغداد ولا سيما عن جريدة الزهور الغراء ، فنقول :

ان اعراب العراق من اشد الناس دهاء وذكاء وهي تميل من ذاتها الى الفتك والغزو والحرب وان لم تحتج الى ما يقوم بها عيشها . وانما تفعل هذه الافعال ظناً منها انها من علامات البسالة والشجاعة والاقدام على الامور الجسام . على انها تسكن وتستكين اذا رات من الحكومة ماتكبح به جماحها . والعكس بالعكس .

ولما اسفر وجه الدستور عن حسنه البديع ظن بعض الرعاع ان الحرية هي الاندفاع الى المعاصي والمنكرات واتيان كل محظور ، ومن جملة من شق عصا الطاعة العشائر المنبثة على ضفتي الفرات وفي سقيه حتى انقطعت حبال المواصلات بين (الفرنة) الى (الناصرية) ومنها الى (السماوة) وكل ذلك في شهر ربيع الثاني من هذه السنة (نيسان ١٩١١) فلما رأى آل السعدون عبث العشائر في تلك الديار تركت املاكها وعبرت الى جهة الشامية للتخلص من بغي تلك الاقوام الطاغية .

ولما شاع مجيء ناظم باشا الى بغداد وانه قد قدم لاصلاحه وترقيه شؤونه طار فرحاً السعدونيون واظهروا من السرور مالم يخف على احد . فسبب هذا الفرح ما أثار في صدور اولئك الناس اشد الحقد عليهم ، وجزموا بان السعدون يكونون عوناً ويداً للحكومة . ومنذ

ذلك اليوم اخذوا ينظرون اليهم نظرهم الى اعدائهم او الى كاسحي جماجيم .

وكانت عشيرة الضفير موالية لآل سعدون وشيخها له غاية المحبة حتى انها كانت تود ان تفديه بحياتها . ثم اعقبت الامور ظهوراً لبطن وادا بالضفير قد اصبحت من اشد الناس عداوة له . والسبب على ما اتته الرواة هو انه لما كان سعدون باشا في شهر محرم (كانون الثاني ١٩١١) نزل (الروضة) ومعه جميع عشائره الموالية له دبت عقارب الفتنة اليه والى الضفير فوقع الخلاف بين الفريقين وللحال انفصلت الضفير وغادرته الى مكان قصي فحاول سعدون باشا الى اعادة الماء الى مجاريها فلم يفلح واظهرت العشيرة اعذاراً هي اوهى من بيت العنكبوت . فبعث اليها رسولاً ابنه (ناصر بك) مرة ثانية وقال له : ان لم تجبك اخفرها جرياً على سنن الاعراب واعرافهم . (والخفر عندهم ان يأخذ الامير الكبير من العشيرة العاصية بعضاً من ابلها بموجب الجرم الذي ركبت متنه تأديباً لها) . فذهب الولد ووافى (ابن حويط) رئيس عشيرة الضفير وبلغه رسالة ابيه . فلم يعبأ ابن حويط بقوله ، فاراد ناصر الخفر فمنعه الحاضرون عن مدبده بما سمع من اطلاق الرصاص . وعلى هذا الوجه رجع ناصر بك بما رجع به جنين بعد ان قتل رجل من رجاله وامرأة نفيرية .

وفي تلك الاثناء اخذ بعض عقلاء السليمانية يسعون في الوساطة لاصلاح ذات البين بين سعدون وشيخ الكبيسة فرحب بها سعدون لدون شروط وعاد

ادراجه الى ديارهومعه الضفير وفى القلوب من الدخل والغيظ والوجدة مالا يخفى على احدٍ حتى بلغ صداه الى ابن الرشيد انتصرته على الضفير لاسيما لانها اعتدت عليه بتعرضها لخوافله سابقاً واخذها منه عدداً من الابل وكان قد امتنع من التنكيل بها محبة لسعدون صديقه .

فلما احس ابن حويط بقدوم ابن الرشيد وانه يكون ظهراً لسعدون شمر بحرج الموقف ولهذا اسرع فى الذهاب امامه واستقباله ولما تلاقيا طلب ابن حويط من ابن الرشيد العفو وانصفح فعفا عنه ، ثم طلب اليه ان يتوسط بينه وبين سعدون لعقد عرى الصلح بينهما ، فابى طلبه، فسار للحال ابن سبهان ومعه شيوخ الضفير الى سعدون باشا واقنعوه بقبول الصلح فلم يقبل الا بعد اللتيا والتى وبشرط ان تدفع الضفير خفر ٣٠٠ بعير و ٧٠ جواداً . فقبلت ودفعت الى سعدون ماطلبه واعطى هذا من هذا الخفر ٧٠ بعيراً و ١٥ فرساً هدية لابن الرشيد . وهذا روايتان: الرواية الاولى هى ان ابن الرشيد فرقها على عشائره التى كانت الضفير قد اخذت جمالها سابقاً . والثانية : انه وهبها للضفير .

وبعد هذا الوفاق رجع كل منهم الى قومه . واما ابن الرشيد فانه من بعد ان اقام بين ظهرانيهم يومين بعد الوفاق ظعن عن ديارهم . على ان الدسائس لازالت تجرى افاعيها تحت ظواهر الصلح حتى ابتعد ابن الرشيد فقامت الضفير على سعدون حتى خذلته . وليس من العجب ان يخذل سعدون لانه لم يكن مستعداً لمثل هذه الخيانة وانجات الموقعة عن قتل فى الفريقين وممن عرف عن القتلى ثلاثة من السعدون وثلاثة

من شيوخ الصفير . وكانت هذه الوقعة في ٢٢ ربيع الاول من هذه السنة (= ٢٤ آذار سنه ١٩١١) في موضع اسمه (الحسينية قرب (شقر آه) التي فيها قصر سعدون باشا .

فلما بلغت الامور هذا المبلغ كتب محمد العصيمي من اعيان الزبير كتاباً الى سعدون بتاريخ آخر ربيع الثاني (اواخر نيسان) يقول له فيه ان يرسل يوسف بك ابن اخيه الى انحاء الزبير لينضم الى عشيرة بني مالك ويقطع الطريق عن قوافل الصفير التي اذنت لها الحكومة ان تأتي الى الزبير. فاجاب طلبه السعدون وذهب يوسف بك حتى وصل الى مسافة ميل من بلدة الزبير فاخذ من العشيرة المعادية ثمانية بعران ولما رأى ان لا قبل له باتمام مابدأ به لمقاومة الصفير له لجأ الى قصر خالد العون في (الشعيبة) احدى ضواحي الزبير الذي اتخذه العصيمي مقاماً له .

ثم كتب محمد العصيمي ليوسف بك ان يرغم العشيرة ويسلبها وينهبها انتقاماً من الزبيريين (الذين استقبحوا عمل العصيمي) فحاصرها يوسف بك في ٢ جمادى الاولى (= ١٠ ايار) حتى انقطعت السبل بين البصرة والزبير وغلت الاطعمة غلاء فاحشاً وخاف الناس على انفسهم الى ان من الله بالفرج على عباده .

ولم تنته الامور الى هذا الحد بل آلت الى صورة اشنع وافظع : زار تسعة من شيوخ البدور في عيد الاضحى من هذه السنة عجيمي بك ابن سعدون باشا ولعلهم فعلوا ذلك حباً بالسلام والرجوع الى الاتفاق

والوئام ، لاسيما وان عجيمي المذكور امنهم على انفسهم وعاهدهم العهود الوثيقة ان لايؤذيهم ، ثم بعد ذلك غدر بهم كما غدروا هم بابيه فقتل سبعة منهم وفدى اثنان نفسيهما بمال طائل فافلتا . ولما سمعت العشائر بهذه الخيانة التي لم تكن الا بامر من سعدون باشا هاجت وماجت وآلت على نفسها ان تنتقم من سعدون مهما كلفها من المال والرجال وخامت طاعته ولم يبق من العشائر الموالية له سوى الضفير وهذه ايضاً لم تبق على حبها له لانه غزا غزة مع الضفير ومع بعض عشائر السماوة وكانوا له بمقام الخدم والعبيد منقادين لجميع اوامره وزواجره وما كان يكرم احداً منهم غير رؤسائهم فانه كان يكسوهم ثياباً في السنة مرة لا غير وبعد انتصاره نوى ان يحرم عشائر السماوة من الغنيمة . فانكر الضفير عليه هذا العمل ، ومن ثم تحكمت النفرة بين سعدون باشا وبين العشيرة المذكورة واصبح سعدون وحيداً شريداً طريداً ، لايرق عليه قلب ، ولا يعطف عليه عاطف .

ولما كان بقاء سعدون باشا في مقامه مما يزعج الخواطر ويقلقها ويديم الاضطراب في ارجاء المنتفق ، كتب رؤساء العشائر رسالة ، وانفذوها الى ولاية البصرة وبغداد وقد ذيلها اربعة عشر رئيساً باسمائهم ، وهذا بعض مافيها نقلاً عن جريدة مصباح الشرق في عددها ٤٧ بدون اصلاح عباراتها المغلوطة :

من المعلوم ان الدور الباند باستبداد حولة آل سعدون على لواء المنتفك

كانت حياة عموم الرعية مستغرقة، ولما تحقق لدى الحكومة جهزت جنداً كافياً فاخرجتهم الى جهة الشامية وبقوا مدة سنين فاستراحت الاهالي وكسبت الامنية وكانت الاميرية تعطى من قبل الاهالي .

اما من مدة ثمان سنين ، فبواسطة اهل الغرض عبر سعدون من الشامية الى جزيرة الغراف وذلك في زمان ولاية مصطفى نوري باشا ، واخذ العهود عليهم لاحياء مشيخة آبائه واجداده، والذي يمتع بنهب ماله ويسفك دمه فصارت السلطة عليهم ولا تمكن هجم على قضاء الشطرة وقتل رهطاً من الجند وضايقها ، حتى اضطر الاهالي الى دفع الاموال لخلاصهم من القتل، ثم ارتحل وهجم على قضاء السوق ونهب واحرق، ولما تحققت معاملته لدى الحكومة ساقت الجند مع الفريق محمد باشا بعد ان استغاث اللوآء وعشائره، ففر الى الكويت ثم عاد بواسطة العفو وشيد قلعة المائمة ووضع فيها ما تمكن من الذخيرة، ثم تسلط على العشائر واخذ يجلب رؤساءهم والذي لم يوافقه يقتله، وهكذا استمرت افعاله والحكومة كانت تراها ولم تعاقبه لاطماعها فيه ، الى زمن الوالي السابق مخلص باشا فساق عليه الجند وامر بقلع المائمة، ولما انفصل من وظيفته رجع واستمر على جوره، حتى بزغ الدستور وتلطف البارئ سلينا بالعدل فما لبث ان عاد لحالته الاولى ايضاً وجرى ماجرى منه من سفك الدماء وقتل الانفس.

ونظراً لمشاهدته العشائر من انتصار حكومة المركز اخيراً، واعطاء القوة الى سعدون وولده صاروا مأيوسين ومحاذرين من تسلط سعدون وولده، لعلمهم بمعاملاته السابقة من قتل النفوس والفعل الشنيع الذي

صدر من عجيمي فوقعت مناوشة خفيفة بين عشائر البدور والجند، وعند دخوله الى اللوآء صارت مصادمة بنفس اللوآء حتى تلفت جملة نفوس واحترقت جملة بيوت وانتهبت، وترك الناس يقتلون بعضهم بعضا فلم يصلحوا ذات بينهم ولا اخرجوا سعدون من قلعة المائة وقد كان ذلك غاية ماتطلبه البدور من الحكومة ، وقد سحبوا تلغرافات الى المقامات العالية شارحين الحال طالبين اخراجه من المائة ووضع مفرزة فيها من العساكر المظفرة لاصلاح الطرق فيها والامنية منتظرين الجواب .

فاذا لم يصدر الامر باجراء الايجاب على النظام تجد عشائر البدور مع الضفير والشيخ مبارك الصباح وتتصل قبائل لوآء المنتفك فى معيته والى الآن ماحصلت النتيجة ولا صدر امر باجرائها.

اما الضفير فقد تم اتفاقهم مع الشيخ مبارك الصباح واما عشائر البدور وقبائل لوآء المنتفك ففى المخابرة والمذاكرة واذا بقى هذا الحال ولم يصدر امر باجلاء سعدون وقلع المائة لقطع دابر الفساد واصلاح الحال ووضع مفرزة من الحكومة فى قلعة المائة يسرى هذا الداء فى عموم العراق فتلفت انظار الحكومة الى اصلاح احوال العراق وحقن دماء المسلمين وتخليصهم من يد سعدون واولاده وتعيين مأمورين الى اللوآء خالين من الغرض محافظين حقوق الدولة والملة فيسعون الى اصلاح هذه المفاسد قبل ان تكون ولاية البصرة مرسحاً للاجانب . اه

ولما تريثت الحكومة فى اصدار امرها تحالفت العشائر على مناهضة

سعدون وضبطت قلعة صغيرة قتل في أثناء اخذها اثنان من رؤساء المتفق فطلب حينئذٍ سعدون من الحكومة ارسال الطعام الى اهل بلده بواسطة البواخر ففعلت وارسلت معها العساكر ، فلما علمت العشائر بذلك امطرت الرصاص على المراكب وعلى من فيها فقابلها الجند بالمثل ذهاباً وإياباً ودام اطلاق البنادق من الجانبين اكثر من ١٢ ساعة .

وبعد ان تحققت العشائر وجود سعدون في اللواء حاصرته اشد الحصار لاكراهه على الخروج من تلك الديار فخرج بعد حصار دام يومين وليلتين وبخروجه انتهى الحصار . اما العشائر التي ناوأته في تلك الواقعة فكانت البدور والغزي والحسينات والبوعظم والعساكرة .

بعد ان اهين سعدون هذه الاهانة وثبت ان كل هذه البلايا التي نزلت به كانت بسبب الضعير آلى على نفسه ان يطاردها ولو بذل دمه في سبيل تحقيق امنيته . فما زال وراءها حتى اتى الزبير فسمع هناك بقدوم صديقه الحميم السيد طالب باشا مبعوث البصرة الى المدينة عائداً من الاستانة فاحب مواجهته وكتب اليه رسالة ليعرف منه اذا كان هناك مانع يحول دون زيارته فاجابه المبعوث ان لا مانع من دخوله البصرة .

فذهب ولما وصل البصرة نزل به ضيفاً . وحالما علم والي ولاية البصرة بدخول سعدون باشا المدينة انبأ بلسان البرق لجنة التحقيق والاجراء بمواقاة الشيخ المذكور فورد الجواب بالقبض عليه وارساله الى بغداد مخفوراً . فارسل اليه آمر المبدرقة (اي قومندان الجاندرمة) وقت القيلولة وطلب اليه ان يواجه والي الولاية ، فلبى الطلب مسرعاً

فلما وصل دار الحكومة قيل له ان الوالي في المشار (محلة من محلات البصرة واقعة على شط العرب) فركب العجلة ، ولما وصل الحي المذكور قيل له انه في المركب وما كادت اقدامه تطأ باخرة (مسعودي) الا وشعر بانه محاط بالخفر وانه ينقل الى بغداد فوصلها في ٢٧ تموز وانزل في دار خاصة به عينتها له الحكومة وجعلت له خدماً على نفقته ثم في ٣ آب نقل الى قلعة المدفعية الواقعة على دجلة . وفي ليل ٢٠ آب سافر الى حلب الشهباء عن طريق الموصل فحاكمته هناك والله اعلم بمصير الامور .

اما اعراب المنتفق فقد اخلدت الى السكون والراحة ريثما تجد لها مايثير غضبها وفق الله الجميع الا مابه خير العباد ونفع البلاد .

في المدينة بضع اصابات بالهيضة اما الوفيات فتكاد لاتكون شيئاً مذكوراً . الا ان هذا المرض يفتك في المحمرة والوفيات فيها من ٢٥ الى ٣٠ في اليوم مع ان المدينة قليلة السكان .

قدم الى بغداد واليها الجديد احمد جمال بك نهار السبت ٢٦ آب وقرئ الفرمان نهار الاربعاء ٣٠ آب .

« بغداد » طبعت في مطبعة الآداب